

نَمْعَةُ الْاِعْتِقَادِ
الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ

شَيْخُ الْاِسْلَامِ
أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ قَدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ
(٥٤١ - ٦٢٠ هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَخْمُودِ بِكُلِّ لِسَانٍ، الْمَعْبُودِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْ
عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، جَلَّ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ
الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَنَفَذَ حُكْمَهُ فِي جَمِيعِ الْعِبَادِ، لَا تُمَثِّلُهُ الْعُقُولُ بِالتَّمْكِيرِ،
وَلَا تَسْوَهُمُ الْقُلُوبُ بِالتَّضْوِيرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَى
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [كه: ٢٦] لَمْ يَأْتِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْأَرْضِ ﴿وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٥-٧]، أَحَاطَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عِلْمًا، وَقَهَرَ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِزَّةً وَحُكْمًا، وَوَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: ١١٠] مَوْصُوفٌ
بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ.

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي «الْقُرْآنِ»، أَوْ صَحَّ عَنِ الْمُصْطَفَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ صِفَاتِ
الرَّحْمَنِ، وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَتَلَقَّيْهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْقَبُولِ، وَتَرَكْهُ التَّعَرُّضَ لَهُ بِالرَّدِّ
وَالتَّأْوِيلِ، وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ.

وَمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ، وَجَبَ إِثْبَاتُهُ لَفْظًا، وَتَرَكْهُ التَّعَرُّضَ لِمَعْنَاهُ^(١)، وَتَرَدُّ

(١) قوله: (وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه). فيه إشكال، وظاهره القول بالتفويض،
ولا أظن أن المصنف أراد ذلك، لوجود كلام له يدل على أنه على عقيدة السلف في هذا
الكتاب وغيره.

انظر: «فتاوى الإمام محمد بن إبراهيم» (١/٢٠٢ - ٢٠٣)، وشيخنا د. المحمود في:
«تيسير لمعة الاعتقاد» (ص ٣٥ - ٤٠).

عَلِمَهُ إِلَى قَائِلِهِ، وَتَجَعَلَ عَهْدَتَهُ عَلَى نَاقِلِهِ، اتَّبَاعًا لَطَرِيقِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ،
الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي «كِتَابِهِ الْمُبِينِ» بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي
الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] وَقَالَ فِي ذِمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ
لِمَتَشَابِهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] فَجَعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ عِلَامَةً
عَلَى الزَّيْغِ، وَقَرَنَهُ بِابْتِغَاءِ الْفِتْنَةِ فِي الدِّمِّ، ثُمَّ حَجَبَهُمْ عَمَّا أَمَلُوهُ، وَقَطَعَ
أَطْمَاعَهُمْ عَمَّا قَصَدُوهُ، بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِ
النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا». وَ: «إِنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْقِيَامَةِ» وَمَا
أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ: (تُؤْمِنُ بِهَا، وَتُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى، وَلَا نَرُدُّ
شَيْئًا مِنْهَا، وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَلَا نَصِفُ اللَّهَ بِأَكْثَرِ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، بِلَا حُدٍّ وَلَا غَايَةَ) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
وَهُوَ السَّبِيحُ الْبَصِيدُ ﴿[الشورى: ١١] وَتَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصَفَهُ بِمَا وَصَفَ
بِهِ نَفْسَهُ، لَا تَتَعَدَّى ذَلِكَ، وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلَّهُ
مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نَزِيلُ عَنْهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ لِشِنَاعَةِ شُنْعَتِ، وَلَا تَتَعَدَّى
«الْقُرْآنَ» وَ«الْحَدِيثَ»، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَصَدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ
وَتَثْبِيتِ «الْقُرْآنِ»).

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: (آمَنْتُ
بِاللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، - وَبِمَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ
اللَّهِ، عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ).

وَعَلَى هَذَا دَرَجَ السَّلْفُ، وَأَثَمَةُ الْخَلْفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كُلُّهُمْ مُتَقَفُونَ

عَلَى الإِقْرَارِ، وَالْإِمْرَارِ، وَالْإِثْبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصِّفَاتِ فِي «كِتَابِ اللَّهِ»، وَ
«سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ»، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ.

وَقَدْ أَمَرْنَا بِالْإِقْتِنَاءِ لِأَثَارِهِمْ، وَالْإِهْتِدَاءِ بِمَنَارِهِمْ، وَحُدْرَتِنَا الْمُحَدَّثَاتِ،
وَأَخْبِرْنَا أَنَّهُمَا مِنَ الضَّلَالَاتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ
الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كَفَيْتُمْ).
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَلَامًا مَعْنَاهُ: (قِفْ حَيْثُ وَقَفَ
الْقَوْمُ، فَإِنَّهُمْ عَنِ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِصَرِّ نَافِدٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا
أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أُخْرَى، فَلْتَن قُلْتُمْ: حَدَّثَ بَعْدَهُمْ، فَمَا أَحَدَنَهُ إِلَّا
مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، وَلَقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، وَتَكَلَّمُوا
مِنْهُ بِمَا يَكْفِي، فَمَا فَوْقَهُمْ مُحَسَّرٌ، وَمَا دُونَهُمْ مُقَصَّرٌ، لَقَدْ قَصَرَ عَنْهُمْ قَوْمٌ
فَجَفَّوْا، وَتَجَاوَزَهُمْ آخِرُونَ فَعَلَّوْا، وَإِنَّهُمْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدَى مُسْتَقِيمٍ.
وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: (عَلَيْكَ بِأَثَارِ مَنْ سَلَفَ
وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرَّجَالِ وَإِنْ زَخَّرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَدْرَمِيُّ لِرَجُلٍ تَكَلَّمَ بِبِدْعَةٍ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا:
(هَلْ عَلِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهَا؟).
قَالَ: (لَمْ يَعْلَمُوهَا). قَالَ: (فَشَيْءٌ لَمْ يَعْلَمَهُ هُوَ لِأَنَّ عِلْمَتَهُ أَنْتَ؟). قَالَ الرَّجُلُ:
(فَإِنِّي أَقُولُ: قَدْ عَلِمُوهَا). قَالَ: (أَفُوسِعُهُمْ أَلَّا يَتَكَلَّمُوا بِهِ، وَلَا يَدْعُوا النَّاسَ
إِلَيْهِ، أَمْ لَمْ يَسْعَهُمْ؟). قَالَ: (بَلَى وَسِعَهُمْ)، قَالَ: (فَشَيْءٌ وَسِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وَخُلَفَاءَهُ، لَا يَسْعُكَ أَنْتَ؟) فَإِنْ قَطَعَ الرَّجُلُ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ -وَكَانَ حَاضِرًا-: (لَا

وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيَّ مَنْ لَمْ يَسْعُهُ مَا وَسِعَهُمْ).

وَهَكَذَا مَنْ لَمْ يَسْعُهُ مَا وَسَّعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ،
وَالْأئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَالرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، مِنْ تِلَاوَةِ آيَاتِ الصِّفَاتِ، وَقِرَاءَةِ
أَخْبَارِهَا، وَإِمْرَارِهَا كَمَا جَاءَتْ، فَلَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

فَمِمَّا جَاءَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَقِنِي رَبِّيَ رَبِّكَ﴾
[الرحمن: ٢٧]. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:
٦٤]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:
٢٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْكُفَّارِ: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾
[الفتح: ٦] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ [محمد: ٢٨]. وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاءَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

وَمِنَ الشَّنَةِ؛ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ
الدُّنْيَا». وَقَوْلُهُ: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءَةٌ». وَقَوْلُهُ:
«يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ». فَهَذَا وَمَا
أَشْبَهُهُ مِمَّا صَحَّ سَنَدُهُ، وَعُدَّتْ رَوَاتُهُ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا تَرُدُّهُ، وَلَا نَجْحَدُّهُ، وَلَا
تَنَازَلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا بِسِمَاتِ
الْمُخْدَتِينَ، وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ ﴿لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وَكُلُّ مَا تُخِيلُ فِي

الدُّهْنِ، أَوْ حَطَرَ بِالْبَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - بِخِلَافِهِ .
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [ط] . وَقَوْلُهُ
 تَعَالَى : ﴿ أَمِنْتُمْ سَنَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [تبارك : ١٦] . وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي
 فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ » وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ « أَيْنَ اللَّهُ؟ » قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ .
 قَالَ : « اَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ » رَوَاهُ « مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ » ، وَ« مُسْلِمٌ » وَغَيْرُهُمَا مِنْ
 الْأَثَمَةِ ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَصِينٍ : « كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ » قَالَ : سَبْعَةٌ ، سِتَّةٌ فِي
 الْأَرْضِ ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : « مَنْ لِرَعْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ » قَالَ : الَّذِي فِي
 السَّمَاءِ ، قَالَ : « فَاتْرِكِ السِتَّةَ ، وَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ، وَأَنَا أَعْلَمُكَ دَعْوَتَيْنِ »
 فَأَسْلَمَ ، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ : « اللَّهُمَّ إِلَهْمَنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي » .
 وَفِيمَا نُقِلَ مِنْ عِلَامَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي « الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ » : (أَنَّهُمْ
 يَسْجُدُونَ بِالْأَرْضِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهُهُمْ فِي السَّمَاءِ) . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي
 « سُنَنِهِ » أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةٌ كَذَا وَكَذَا . . . » .
 وَذَكَرَ الْحَبْرَ إِلَى قَوْلِهِ : « وَفَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ » فَهَذَا
 وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - عَلَى نَقْلِهِ وَقَبُولِهِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا
 لِرَدِّهِ ، وَلَا تَأْوِيلِهِ ، وَلَا تَشْبِيهِهِ ، وَلَا تَمْثِيلِهِ .
 سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَقِيلَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى
 الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه] . كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ : (الاستواءُ غيرُ مجهولٍ ،
 وَالْكَيْفُ غيرُ معقولٍ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ) . ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّجُلِ
 فَأُخْرِجَ .

فَضْلٌ

[كَلَامُ اللَّهِ]

وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى : أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ ، يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ ، سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَنْ أَدْنَى لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُكَلِّمُونَهُ ، وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيُزَوِّرُونَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٦] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَمْوَسَّىٰٓ إِلَىٰ صَطْفَيْتِكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَيَكَلِّمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ مِنْهُمْ مَن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١] وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَلَمَّا أَتَتْهَا أُودِيَ بِمُوسَىٰ ﴿١٦٦﴾ إِلَىٰ أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه: ١١ ، ١٢] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [طه: ١٤] . وَغَيْرِ جَائِزٍ أَن يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : (إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ) . [و] ^(١) رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ

(١) ما بين معقوفين لم أجده فيما وقفت عليه من النسخ، ولعل ما بعده من كلام ابن قدامة وليس من كلام ابن مسعود؛ ولذا فصلته عن أثر ابن مسعود . وأثر ابن مسعود هذا لم أجده بهذا اللفظ بعد بحث طويل، ووجدته بلفظ آخر دون قوله : (روى ذلك عن النبي ﷺ) . وهذا ما يؤكد أن هذه الجملة من كلام ابن قدامة، والله أعلم .

الْقِيَامَةِ عُرَاهُ حُفَاءَ عُرْلًا بِيْنَهُمَا فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ
مَنْ قَرَبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ» .

رَوَاهُ الْأَيْمَةُ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ .

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: (أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَيْلَةَ رَأَى النَّارَ، فَهَالَتْهُ فَفَزِعَ
مِنْهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَى، فَأَجَابَ سَرِيعًا اسْتِثْنَاءًا بِالصَّوْتِ. فَقَالَ: لَبَّيْكَ،
لَبَّيْكَ، أَسْمَعُ صَوْتِكَ، وَلَا أَرَى مَكَانَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا فَوْقَكَ،
وَأَمَامَكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ
تَعَالَى، قَالَ: كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلَهِي، أَفَكَلَامَكَ أَسْمَعُ، أَمْ كَلَامَ رَسُولِكَ؟ قَالَ:
بَلْ كَلَامِي يَا مُوسَى).

* * *

فَصْلٌ

[«القرآن» كَلَامُ اللَّهِ]

وَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - «الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ»، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ
الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ،
عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ،
وَالِيهِ يَعُودُ، وَهُوَ سُورٌ مُخَكَّمَاتٌ، وَأَيَّاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ .

مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرٌ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، وَأَجْزَاءٌ
وَأَبْعَاضٌ، مَتْلُوبٌ بِاللِّسَانَةِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْأَذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي
الْمَصَاحِفِ، فِيهِ مُحَكَّمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ
وَنَهْيٌ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ﴿١١﴾

[فصلت: ٤٢]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] وَهُوَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ [سبأ: ٣١] وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر] فَقَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر]. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ شِعْرٌ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهٗ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]. فَلَمَّا نَفَى اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَأَثْبَتَهُ قُرْآنًا، لَمْ يَبْقَ شُبُهَةٌ لِذِي لُبٍّ فِي أَنْ «الْقُرْآنَ» هُوَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي هُوَ كَلِمَاتٌ، وَحُرُوفٌ، وَأَيَاتٌ، لِأَنَّ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ لَا يَقُولُ أَحَدٌ: إِنَّهُ شِعْرٌ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَّخِذَاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَى مَا هُوَ، وَلَا يُعْقَلُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ أَيَّانًا يَنْتَوِي قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتِ بِشْرَانِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥]. فَأَثْبَتَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْآيَاتُ الَّتِي تُتْلَى عَلَيْهِمْ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَضِي فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ ﴿٧٧﴾ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة]. بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَهَيْعَصَ ﴿١٠١﴾﴾ [مريم]. ﴿حَمَّ ﴿١٠٢﴾ عَسَقَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الشورى]. وَافْتَتَحَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ، فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ». حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ».

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: (إِعْرَابُ «الْقُرْآنِ» أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ حُرُوفِهِ).

وَقَالَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: (مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ)، وَاتَّفَقُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُورِ «الْقُرْآنِ»، وَأَيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَحُرُوفِهِ. وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنْ «الْقُرْآنِ» سُورَةً، أَوْ آيَةً، أَوْ كَلِمَةً، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ؛ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ.

فصل

[رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَيَرَوْنَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ، وَيُكَلِّمُونَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٢، ١٣].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]. فَلَمَّا حَجَبَ أَوْلِيكَ فِي حَالِ السَّخَطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرِّضَى، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ». حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهَذَا تَشْبِيهُ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ،

لِلْمَرْمِيِّ بِالْمَرْمِيِّ^(١)، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ.

فَصْلٌ

[القضاء والقدر]

وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى - أَنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ، وَلَا مَحِيدَ عَنِ الْقَدْرِ الْمَقْدُورِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ الْمَسْطُورِ، أَرَادَ مَا الْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لِمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لِأَطَاعُوهُ، خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَأَجَالَهُمْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحُكْمَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرِ﴾ [القمر: ٤٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. رَوَى ابْنُ عُمَرَ: (أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». فَقَالَ جِبْرِيلُ: صَدَقْتَ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «آمَنْتُ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلُوهِ وَمُرِّهِ». وَمَنْ دُعَاءِ

(١) جاء في إحدى النسخ: «وهذا تشبيه للرؤية، لا للمرمي، فإن الله . . .»

النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُتُوبِ الْوَتْرِ : «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ» وَلَا نَجْعَلُ قَضَاءَ اللَّهِ وَقَدْرَهُ حُجَّةً لَنَا فِي تَرْكِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ وَنَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيْنَا الْحُجَّةَ بِإِنزَالِ الْكِتَابِ ، وَبِعَثَةِ الرُّسُلِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] . وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مَا أَمَرَ وَنَهَى إِلَّا الْمُسْتَطِيعَ لِلْفِعْلِ وَالتَّرَكِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَةٍ ، وَلَا اضْطَرَّهُ إِلَى تَرْكِ طَاعَةٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَنْفُوا اللَّهَ مَا أَسْطَغْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ [غافر : ١٧] . فَدَلَّ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ فِعْلًا وَكَسْبًا يُجْزَى عَلَى حَسَنِهِ بِالثَّوَابِ ، وَعَلَى سَيِّئِهِ بِالْعِقَابِ ، وَهُوَ وَاقِعٌ ، بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ .

فصل

[الإيمان قول وعمل]

وَالْإِيمَانُ «قَوْلٌ» بِاللِّسَانِ ، وَ«عَمَلٌ» بِالْأَرْكَانِ ، وَ«عَقْدٌ» بِالْجَنَانِ ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ ، وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَمْرٌ إِلَّا لَيْعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة] فَجَعَلَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِخْلَاصَ الْقَلْبِ ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، كُلَّهُ مِنْ الدِّينِ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» فَجَعَلَ «الْقَوْلَ» وَ«الْعَمَلَ»

مِنَ الْإِيمَانِ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [التوبة : ١٢٤] . وَقَالَ : ﴿ لِيَزَادُوا إِيمَانًا ﴾ [الفتح : ٤] وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ ، أَوْ خَرْدَلَةٍ ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ » فَجَعَلَهُ مُتَقَضِّلاً .

فَضْلُ

[الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ]

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَصَحَّ بِهِ النَّقْلُ عَنْهُ فِيمَا شَاهَدَنَاهُ ، أَوْ غَابَ عَنَّا ، نَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقَلْنَاهُ وَجَهَلْنَاهُ ، وَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ ، مِثْلُ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ ، وَالْمِعْرَاجِ ، وَكَانَ يَقْطَعُ لَا مَنَامًا ، فَإِنَّ قُرَيْشًا أَنْكَرْتُهُ وَأَكْبَرْتُهُ ، وَلَمْ تُنْكَرِ الْمَنَامَاتِ . وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ لَمَّا جَاءَ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِيَقْبِضَ رُوحَهُ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَشْرَاطُ السَّاعَةِ ؛ مِثْلُ : خُرُوجِ الدَّجَالِ ، وَتُرُودِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَيَقْتُلُهُ ، وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ النَّقْلُ . وَعَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ حَقٌّ ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ ، وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ .

وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ حَقٌّ ، وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ حَقٌّ ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ ، وَذَلِكَ حِينَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي الصُّورِ ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى

رَيْبِهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ [يس] . وَيُخَشِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا بِيْهَمًا ، فَيَقْفُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يَشْفَعَ فِيهِمْ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَيَحَاسِبُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ ، وَتُنَشَرُ الدَّوَابِرُ ، وَتَتَطَايَرُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ إِلَى الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ ﴿ فَاَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ ﴿٥٢﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٥٣﴾ وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٥٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿٥٥﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿٥٦﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿٥٧﴾ [الانشقاق : ٧-١٢] . وَالْمِيزَانُ لَهُ كِفَاتَانِ وَلِسَانٌ ، تُوزَنُ بِهِ الْأَعْمَالُ ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٥٩﴾ [المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣]

وَلِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَوْضٌ فِي الْقِيَامَةِ ، مِائَةٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَبَارِيقُهُ عِدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالصَّرَاطُ حَقٌّ ، يَجُوزُهُ الْأَبْرَارُ ، وَيَزِلُّ عَنْهُ الْفُجَّارُ ، وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا ﷺ فِي مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِبَايِرِ ، فَيُخْرِجُونَ بِشَفَاعَتِهِ بَعْدَمَا اخْتَرَقُوا وَصَارُوا فَاحِمًا وَحَمَمًا ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ ، وَلِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ شَفَاعَاتٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيئَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] . وَلَا تَنْفَعُ الْكَافِرَ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ .

وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَحْلُوقَتَانِ لَا تَفْنِيَانِ ، فَالْجَنَّةُ مِائَةٌ أَوْ لِيَاثِهِ ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لِأَعْدَائِهِ ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا مُخَلَّدُونَ ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُخَلَّدُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ لَا يُقَدَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ ﴿٦١﴾ [الزخرف : ٧٤ ، ٧٥] . وَيُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةٍ كَبِشٍ أَمْلَحَ ، فَيُدْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : « يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتَ » .

فصل [مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ]

وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَشْهَدَ بِنُبُوَّتِهِ، وَلَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقِيَامَةِ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أُمَّةٌ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ أُمَّتِهِ، صَاحِبُ لَوَاءِ الْحَمْدِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْزُودِ، وَهُوَ إِمَامُ النَّبِيِّينَ، وَخَطِيئُهُمْ، وَصَاحِبُ شَفَاعَتِهِمْ، أُمَّتُهُ خَيْرُ الْأُمَّةِ، وَأَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُمَثَانُ ذُو الثَّوْرَيْنِ، ثُمَّ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، لِمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ: [أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا:] (١) أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُمَثَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، فَيَنْلُغُ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يُتَكْرَهُ). وَصَحَّتِ الرَّوَايَةُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: (خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الثَّلَاثَ). وَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَى أَفْضَلٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ».

وَهُوَ أَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، لِفَضْلِهِ وَسَابِقَتِهِ، وَتَقْدِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى تَقْدِيمِهِ وَمُبَايَعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ. ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ

(١) ما بين معقوفين سقط من إحدى النسخ.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لِفَضْلِهِ وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ إِلَيْهِ، ثُمَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لِتَقْدِيمِ أَهْلِ الشُّورَى لَهُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لِفَضْلِهِ وَإِجْمَاعِ أَهْلِ عَصْرِهِ عَلَيْهِ.

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ». وقال ﷺ: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة». فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه.

ونشهد للعشرة بالجنة، كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها؛ كقوله: «الحسن والحسين سيّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». وقوله لثابت بن قيس: «إنه من أهل الجنة».

ولا نجزم لأحد من «أهل القبلة» بجنة ولا نار، إلا من جرم له الرسول، لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء. ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل، ونرى الحج والجهاد ماضيين مع طاعة كل إمام، براء أو فاجر، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة. قال أنس: قال النبي ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان، الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يُقاتل آخر أمتي الدجال، لا يُبطله جور جائر، ولا عدل عادل،

وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَمِنَ الشُّنَّةِ : تَوَلَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَحَبَّتُهُمْ ، وَذِكْرُ مَحَاسِنِهِمْ ، وَالتَّرْحُّمُ عَلَيْهِمْ ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمْ ، وَالكَفُّ عَن ذِكْرِ مَسَاوِيهِمْ ، وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ . وَاعْتِقَادُ فَضْلِهِمْ ، وَمَعْرِفَةُ سَابِقَتِهِمْ . قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحشر: ١٠] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ ، وَلَا نَصِيفَةً » .

وَمِنَ الشُّنَّةِ : التَّرَضِّي عَن أَزْوَاجِ الرَّسُولِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطَهَّرَاتِ الْمُبْرَّاتِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، أَفْضَلُهُنَّ : خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَعَائِشَةُ الصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِيقِ الَّتِي بَرَّأَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَمَنْ قَدَّفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَمُعَاوِيَةُ خَالَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَاتِبُ وَحْيِ اللهِ ، أَحَدُ خُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - .

وَمِنَ الشُّنَّةِ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأُمْرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، بَرَّهُمْ وَفَاجِرِهِمْ ، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةِ اللهِ ، فَإِنَّهُ لَا طَّاعَةَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ . وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَرَضُوا بِهِ ، أَوْ غَلَبَهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً ، وَسُمِّيَ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَبَتْ طَاعَتُهُ ، وَحُرِّمَتْ مُخَالَفَتُهُ ، وَالخُرُوجُ عَلَيْهِ ، وَشَقُّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ .

وَمِنَ السُّنَّةِ : هِجْرَانُ أَهْلِ الْبِدْعِ ، وَمُبَايَنَتُهُمْ ، وَتَرْكُ الْجِدَالِ وَالْحُصُومَاتِ فِي الدِّينِ ، وَتَرْكُ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُبْتَدِعَةِ ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَى كَلَامِهِمْ ، وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ فِي الدِّينِ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ مُتَسَمِّ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ مُبْتَدِعٌ ، كَالرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْخَوَارِجِ وَالْقَدْرِيَّةِ ، وَالْمُرْجِيَّةِ ، وَالْمُعْتَزِلَةِ ، وَالْكَرَامِيَّةِ ، وَالْكَلَابِيَّةِ ، وَنَظَائِرِهِمْ فَهَذِهِ فِرْقُ الضَّلَالِ ، وَطَوَائِفُ الْبِدْعِ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا .

وَأَمَّا النَّسْبَةُ إِلَى إِمَامٍ فِي فُرُوعِ الدِّينِ ، كَالطَّوَائِفِ الْأَرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ ، فَإِنَّ الْاِخْتِلَافَ فِي الْفُرُوعِ رَحْمَةٌ ، وَالْمُخْتَلِفُونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ فِي اِخْتِلَافِهِمْ ، مُثَابُونَ فِي اجْتِهَادِهِمْ ، وَاِخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ .

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِصِمَنَا مِنَ الْبِدْعِ وَالْفِتْنَةِ ، وَيُحْيِيَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ ، وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَيَاةِ ، وَيَخْشُرُنَا فِي زُمْرَتِهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ ، بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ ، آمِينَ .

وَهَذَا آخِرُ «الْمُعْتَقَدِ» ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

* * *